Received: 1/8/2021 Accepted: 31/8/2021 Published: 2021

التخييل التاريخي في رواية محنة فينوس لأحمد خلف

أ.م.د.محمد انور اسماعيل جاسم
قسم اللغة العربية – كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
mu197833@gmail.com
mohmoh-mm.edbs@uomustaniriyah.edu.iq

مستخلص البحث:
تسعى الدراسة الى مقاربة مفهوم التخييل التاريخي في رواية محنة فينوس للكاتب العراقي احمد خلف , فمفهوم التخييل التاريخي مصطلح ظهر حديثا في الساحة النقدية وهي امتداد للمصطلح القديم الرواية التاريخية , وجاءت الدراسة بتوطئة وخاتمة في ابرز النتائج , فكانت التوطئة في الحديث عن علاقة الرواية بالتاريخ وعن مفهوم التخييل التاريخي , ثم الحديث عن المرجعيات التاريخية في الرواية وكذلك الحديث عن المتخيل السردي والنسق الديستوبي فيها وانتهت ببعض النتائج منها ان العلاقة بين الرواية والتاريخ هي علاقة تبادلية وتفاعلية , وهي علاقة بين فضاءين (فضاء السرد التخييلي وفضاء المرجع التاريخي الواقعي).

الكلمات المفتاحية: تخييل, تاريخي , فينوس , احمد , تحبيك سردي.

توطئة:

رواية تاريخية ام تخييل تاريخي؟

ان العلاقة بين الرواية بوصفه عملا فنيا تخيليا ,وبين التاريخ كمادة موضوعية وواقعية وزمنية لهي علاقة متشعبة وواسعة ومتداخلة وقد خاض العديد من النقاد في تحديد المصطلح الذي يربط بين الاثنين , فظهور مصطلح الرواية التاريخية كان على يد جورج لوكاش في كتابه الرواية التاريخية الذي وضع اصول هذا المصطلح , وان بداية نشوء الرواية التاريخية كانت في مطلع القرن التاسع عشر وتحديدا بعد انهيار نابليون وظهور رواية سكوت (ويفرلي) عام 1814م 1 وقد امتزجت العلاقة بين الرواية والتاريخ بظهور روايات والتر سكوت التاريخية , وروايات دون كيشوت لسرفانتس , وغيرها من الروايات التي اخذت منحا تاريخيا قائما على عنصر السرد وكذلك على التحبيك السردي , ويؤكد جورج لوكاش ان ظهور الروايات التاريخية قد ظهرت قبل ذلك بكثير اي في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين , ولكنها لاتدخل فنيا تحت مسمى الرواية التاريخية , لافتقارها شروط الرواية الفنية مثل رواية سكوديري وكالبرانيديه , فهي تاريخية فقط من ناحية الاطار الخارجي للموضوع , ونوعية الازياء المذكورة فيها 2 , ويشير كذلك الى رواية (قلعة اوترنتو) للكاتب (والبول) بأنها رواية عاملت التاريخ معاملة الازياء , اي كأنه مجرد ديكور بقوله : "فما يهم هنا ليس الاغرائب وشواذ المحيط او البيئة , وليس صورة امينة فنيا لعصر تاريخي محدد. وما يفتقد في مايسمى بالرواية التاريخية قبل السير (وولتر سكوت) هو بالضبط ماهو تاريخي على وجه التخصيص , اي اشتقاق الشخصية الفردية للشخوص من خصوصية عصرهم التاريخية " 3. وفي عالمنا العربي ظهرت مجموعة من الروايات التي تدخل في اطار الرواية التاريخية , وما قام به جرجي زيدان * في تقديم مجموعة كبيرة من الروايات التاريخية , بدأها برواية المملوك الشارد عام 1891م , وانتهت برواية شجرة الدر, ويرى الناقد عبدالله ابراهيم في كتابه موسوعة السرد العربي , الى ان كتابات جرجي زيدان التاريخية , قد بدأت بالظهور في حقبة زاد الاهتمام في تأليف الروايات

التاريخية وتعريبها (4), ويلخص لنا عمل زيدان بقوله : " وسط تفاعل النصوص المؤلفة والمعربة التي شاعت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر , وبخاصة الاقتباس غير المقيد الذي ازدهر انذاك , ظهرت على التوالي تاريخيات (زيدان) لتقدم اول سلسلة , شبه متكاملة , تقوم على تمثيل سردي تاريخي للاحداث العربي – الاسلامي منذ العصر الجاهلي الى الانقلاب العثماني في نهاية العقد الاول من القرن العشرين " (5). ان هذا التلخيص لعمل زيدان يبين لنا حجم المادة التاريخية الداخلة والمتشكلة في العمل السردي التخييلي , اذ وظف جرجي زيدان الاحداث التاريخية والواقعية مع الحدث السردي التخييلي بواسطة ربط الواقعة التاريخية بحدث تخيلي مشوق , كأن يدخل قصة حب بين الشخصيات التاريخية لتكون الرواية اكثر تشويقا , لذا فان شخصيات رواياته قائمة على مصدرين مهمين : الاولى الذاكرة التاريخية , وقد تكون هذه الذاكرة من وثائق ومستندات , والاخرى من المخيلة الابداعية ليغدو خيال الكاتب عنصرا اساسيا لقيام الرواية (6). وقد توالت الانجازات الادبية في مجال الرواية التاريخية بعد جرجي زيدان اذ قام كل من محمد فريد ابو حديد , وعلي الجارم ومحمد سعيد العريان بأنتاج نصوص روائية تاريخية , ويمكن القول بأنهم قد ورثوا هذا العمل من زيدان نفسه , اذ اصدر محمد فريد ابو حديد مجموعة من الروايات التاريخية مثل (ابنة المملوك)و(الملك الضليل)و(ابو الفوارس عنترة بن شداد) و(الام جحا)و(انا الشعب),اما علي الجارم فقد اصدر مجموعة من الروايات التاريخية اهمها : (الذين قتلهم شعرهم) و(فارس بني حمدان) و(هاتف الاندلس) و(الشاعر الطموح) في وصف لحياة الشاعر المتنبي, وغيرها , وقد قدم محمد سعيد العريان كذلك مجموعة من القصص التاريخية منها (قطر الندى 1945م) و (على باب زويلة 1946م) و (شجرة الدر 1947م) و(بنت قسطنطين1948م),وقد اشتهر نجيب محفوظ في بداية حياته الادبية بكتابة الروايات التاريخية قبل ان ينعطف نحو موضوعات اخرى , منها (اولاد حارتنا) الحائزة على جائزة نوبل في الاداب عام 1988م , الذي اعتمد في نسجه على المصادر التاريخية حول قصة الخلق بحسب ماوردت في الكتب السماوية , والاخذ من قصص الانبياء بسواده الاعظم .

ومن الروائيين العرب الذين كتبوا اعمالا روائية في اطاره التاريخي نذكر منهم :

1- جمال الغيطاني في (الزيني بركات وخطط الغيطاني وكتاب التجليات) .
2- عبد الرحمن منيف في ثلاثيته (ارض السواد).
3- امين معلوف في (صخرة طالنيوس وليون الافريقي).
4- عبد الخالق الركابي في ثلاثيته (الروواق ومقامات اسماعيل الذبيح).
5- صنع الله ابراهيم في (العمامة والقبعة).
6- حسن حميد في (جسر بنات يعقوب) .
7- مهدي عيسى الصقرفي (المقامة البصرية).
8- علي بدر في (بابا سارتر والوليمة العارية).
9- ربيع جابرفي (دروزبلغراد ورحلة الغرناطي).
10- هاشم غرابية في (اوراق معبد الكتب).
11- فاضل العزاوي في (اخر الملائكة والاسلاف).
12- يوسف زيدان في (عزازيل) .
13- جهاد مجيد في (حكايات دومة الجندل).
14- واسيني الاعرج في (البيت الاندلسي) .
15- واحمد خلف في (تيمور الحزين ومحنة فينوس)* الذي هو مدار بحثنا .

ويمكن القول من خلال هذه المجموعة الكبيرة من الروايات وغيرها الكثير انها سلكت اتجاها ادبيا خاصا بها , وكونت نوعا ادبيا روائيا متميزا ومتطورا بحسب رؤية الكاتب ومستوى تخيله , ومدى افادته من التاريخ , وكيفية توظيف الاحداث والشخصيات وتتابعها داخل العمل الروائي , ولكن يبقى السؤال هنا هو بماذا افادت الرواية التاريخ او ماذا قدم التاريخ كمادة موضوعية للسرد الروائي , وهل تمكن الكاتب من انتاج عالم متخيل جديد ؟

ان الحقبة التي كتبت فيها هذه الروايات التاريخية جعلت من الرواية تسير نحو حداثة جديدة , وحصول تحولات كبيرة في انتاج الكاتب , ويعلق الناقد فاضل ثامر حول تلك الحقبة التي كتبت فيها الروايات بأنها حقبة جديدة وحصول تحول كبير في مفهوم الاخذ من التاريخ بقوله : " فارق الروائي العربي الحداثي هذا الموقف منذ زمن بعيد فوجد نفسه داخل فضاء متسع للتنازع "7 , ويقصد بالموقف هنا هو موقف الكتاب الروائيين الذين اعطوا الاولوية للتاريخ على حساب الفن الروائي , والكثير منهم جعلوا من التاريخ مادة للفن الروائي , في حين انه يجب ان يكون الفن نفسه خادما للتاريخ 8 , وتجدر الاشارة الى ان الكاتب عليه ان يتجاوز البعد التاريخي , ويدخل في اطار البعد التخييلي , وان لايكون اسيرا للمادة التاريخية . ان العلاقة بين الرواية والتاريخ هي علاقة تبادلية وكل واحد يأخذ من الاخر, فالعلاقة بينهما " اكثر من وطيدة واكثر من جدلية فهما ينتميان لمنظومة حكائية واحدة يستحيل فصلهما , لاتاريخ بلا فعالية سردية روائية , ولا رواية بلا فضاء تاريخي , يغذي احدهما الاخر على نحو اكيد واصيل وفعال ومنتج "9, ويمكن القول بأن الرواية تعد مصدرا غير مباشرللتاريخ , ويمكن للكاتب الروائي ان يتحدث عن مشكلات عصره ومجتمعه سياسيا وثقافيا واقتصاديا , ويتحدث عن المسكوت عنه في تلك القضايا , لتغدو الرواية وفق هذا المفهوم مرجعا مهما للتاريخ , وانها ستنطق مالم ينطق به التاريخ , وبالمقابل يمكن للتاريخ ان يكون مرجعا للرواية , وتؤكد سليمة عذاري هذا الرأي بقولها بأن هناك : " ارتباطا فطريا بين التاريخ والفن الروائي اذ ان كليهما يتضمن سرد الاحداث بشكل قصصي , ولوجودهذه العلاقة بين الفن والتاريخ اتجه الكتاب الى قراءة هذا المصدر الثري وهضم صوره وصياغة موضوعاته صياغة حية ونابضة لتغدو وسيلة للتعبير من خلالها عن انفسهم باعتبار انها ذوات تحس وقلوب تنبض "10 .

اذن فالرواية تقوم بعملية انتاج التاريخ بشكل جديد على وفق رؤية الكاتب معتمدا عنصر التخييل الذاتي الذي يشكل اساس العملية الابداعية عند الكاتب , وهنا لابد للكاتب من ان يكون حذرا في الاخذ من التاريخ , ويشيرالناقد محمد صابر عبيد الى خطورة هذا المنزلق الخطير , اذ يرى ان هناك " خيطا دقيقا جدا بين التوحل والتورط في التاريخي بلامنقذ , والعبور من فوقه نحو التخييلي , بلا حدود , فينبغي ان يكون التاريخي في الروائي اداة ووسيلة وليس هدفا وغاية للوصول الى الكيان السردي الروائي المطلوب " 11, فالعلاقة بين الرواية والتاريخي علاقة تفاعلية وتبادلية بين فضاءين هما فضاء السرد التخييلي وهو فضاء الرواية وعالمها الخاص , والاخر هو الفضاء المرجعي الواقعي (فضاء التاريخ) , ويأتي الكاتب ليشكل بين هذين الفضائين عالما سرديا جديدا معتمدا عنصر التحبيك السردي , ويرى سعيد يقطين ان الرواية على وفق هذا المبدأ تقوم بعملية اعادة الزمن الماضي الواقعي الموضوعي بالاعتماد على فعل التخييل , ومقدرة الكاتب في انتاج عالم جديد , وتوظيف الشخصيات داخل العمل الروائي بشكل تخييلي ومنسق تنسيقا جيدا , فالرواية هو عمل سردي يهدف الى اعادة بناء الماضي بصورة تخييلية بوساطة تداخل الاحداث والشخصيات والازمنة والامكنة التاريخية مع مثيلاتها المتخيلة , اذ تقدم المادة التاريخية بطريقة احترافية وابداعية بالاعتماد على فعل التخييل , ورؤية الكاتب للعالم من حوله , ويرى سعيد يقطين كذلك ان الرواية التاريخية تقوم على اساس المادة التاريخية وتقدم على وفق قواعد الخطاب الروائي القائم على البعد التخييلي ,وهذا هو

الجانب المختلف عن الخطاب التاريخي 12. فالمسافة الزمنية في الرواية التاريخية بمفهوم سعيد يقطين هو الماضي (الاحداث) المأخوذ من التاريخ , وبين الحاضر الذي هو زمن القراءة وزمن كتابتها ومما يولد لنا حقبة زمنية جديدة , فزمن السرد هو زمن لاحق , اما زمن التاريخ فهو سابق , ويؤكد كذلك على ان كل خطاب سردي يقوم وفق هذه القاعدة الزمنية 13.

وفي اطار حديثنا عن علاقة الرواية بالتاريخ وفي التخييل يظهر امامنا مصطلح جديد قدمه لنا الناقد عبدالله ابراهيم ليكون بديلا للمصطلح القديم الرواية التاريخية الا وهو مصطلح (التخيل التاريخي) الذي جاء بعدما انتهى عصر الرواية التاريخية على يد نجيب محفوظ , وهذا الاحلال الجديد للمصطلح بحسب رأي عبدالله ابراهيم هو لأجل دفع الكتابة السردية التاريخية الى ان تتخطى مشكلة حدود الانواع الادبية ووظائفها , ثم من اجل تفكيك ثنائية التاريخ والرواية, واعادة دمجها في هوية سردية واحدة جديدة 14 , فهي " نصوص كتابة اعيد حبك موادها التاريخية فامتثلت لشروط الخطاب الادبي وانفصلت عن سياقاتها الحقيقية ثم اندرجت في سياقات مجازية "15. ان هذا المصطلح الجديد يقع بين حدودين (التاريخي والخيالي) , فالتاريخي هي المادة والموضوع الحقيقي والواقعي الموجود في الكتب والوثائق ومؤرخة بشكلها المنهجي المنظم , اما الخيالي فهو رؤية الكاتب الذي سيشكل تلك المادة التاريخية في خياله بواسطة التحبيك السردي فيختار الشخصيات والاحداث والحدود الزمانية والمكانية بأسلوب سردي دقيق , فالتخييل التاريخي هو : " المادة التاريخية المتشكلة بواسطة السرد , وقد انقطعت عن وظيفتها التوثيقية والوصفية , واصبحت تؤدي وظيفة جمالية ورمزية , فالتخيل التاريخي لايحيل على حقائق الماضي , ولايقررها , ولايروج لها , انما يستوحيها بوصفها ركائز مفسرة لاحداثه , وهو من نتاج العلاقة المتفاعلة بين السرد المعزز بالخيال , والتاريخ المدعم بالوقائع , لكنه ترتيب ثالث مختلف عنهما"16. وقد تعرض هذا المصطلح الجديد لموجة رفض نقدية من بعض النقاد , ومنهم سعيد يقطين الذي رفضه , ورافضا استبدال المصطلح القديم بهذا الجديد , وانه لامبرر له منهجيا ولاحتى نظريا 17 , وكذلك رفضه الناقد فاضل ثامر , واكد ان هذه المقاربة التي اقترحها عبدالله ابراهيم هي مهمة في مجال الدراسات السردية , الاان المصطلح يحتاج الى وقت حتى يخرج من دائرة التساؤلات واللبس , ولذا فأنه يقترح لنا اعتماد المصطلح الذي اقترحته الناقدة ليندا هتشيون في كتابها (سياسة مابعد الحداثية) وهو مصطلح " ميتاخرافة تصويرية تاريخية " * , وقد عربه الى مصطلح (الميتا- سرد التاريخي)18, ويقوم هذا المصطلح الاخير على اخضاع "التمثيل القصصي – الخرافي والتاريخي – لفحص تدميري مشابه في الشكل مابعد الحداثي التناقضي الذي اود ان ادعوه "ميتاخرافة تصويرية تاريخية" ."19, وقد دافع عبدالله ابراهيم عن مصطلحه الجديد الذي اجترحه مؤكدا بأن المصطلح سوف يحل مشكلة الانواع الادبية , ومشكلة العلاقة بين الرواية والتاريخ ،وذلك بعد دمجهما في حالة سردية واحدة بالاعتماد على عنصر التحبيك الروائي , واخراج النص الروائي من حدودها الزمنية التاريخية الى حدود ومضمون السرد الروائي القائم اساسا على عنصر التخييل 20, والى ذلك سوف " يحد من التنقيب الذي لاترجى فائدة منه في مقدار خضوع التخيلات السردية لمبدأ مطابقة المرجعيات التاريخية , فينفتح على كتابة لاتحمل وقائع التاريخ نفسها ولاتعرفها , انما تبحث في طياتها عن العبر المتناضرة بين الماضي والحاضر , وعن التماثلات الرمزية فما بينها , فضلا عن استيحاء التأملات والمصائر والتوترات والانهيارات القيمية والتطلعات الكبرى , فتجعل منها أطرا ناظمة لاحداثها , فتلك هي المسارات الكبرى التي يقترحها "التخيل التاريخي" ."21

ومما تقدم ذكره فأن المسألة متداخلة بين الرواية الذي هوعمل الكاتب مستخدما عنصر التحبيك والسرد القائمين اساسا على فعل التخيل , وبين المادة المأخوذة من الماضي وهو التاريخ , وهذه المادة مرتبطة بما كتبه المؤرخون في كتبهم التاريخية وتحمل في جزء منها رؤيتهم , ولاتخلوا من

انطباعات ذاتية ,او برؤية مجتمعاتهم وتنوع ثقافاتهم , سواء أكانت دينية ام سياسية , ولذا نرى ان هذا التداخل قد يقودنا الى اجتراح مصطلح اخر يدور في اطار هذه العملية اي بين الرواية كعمل تخييلي سردي قائم على التحبيك وبين التاريخي , وان فعل الحبكة يؤدي الى ما اصطلح عليه بول ريكور بالهوية السردية وهي البؤرة التي يقع فيها " التبادل و التمازج والتقاطع والتشابك بين التاريخ والخيال بوساطة السرد , فينتج عن ذلك تشكيل جديد يكون قادرا على التعبير عن حياة الانسان بأفضل مما يعبر عنه التاريخ وحده , او السرد الادبي بذاته "22, وهذا المصطلح الذي نريد ان نقترحه هو (رواية الحبكة السردية التخيلية التاريخية) او (رواية التحبيك السردي التخيلي التاريخي) , وبذلك نضمن وجود كل عناصر العمل الفني الصحيح , مع وجود المادة التاريخية المتشكلة بوساطة السرد والقائمة على التحبيك التخيلي , فضلا عن هذا فان هذا المصطلح سيضمن توسيط الحبكة بين عناصر السرد من احداث وشخصيات وازمنة وبين بقية المكونات الاخرى للعمل الروائي , مع ادخال عنصر التخييل الذي يرتبط بصورة كبيرة بعنصري الحبكة والسرد , اذ اصبح التخييل حديثا يشمل كل الفنون الاخرى كالرسم والرقص , والغناء والنحت وغيرها , والرواية هي واحدة من هذه الفنون , فيأتي التخييل في القصة او الرواية او في اي جنس اخر ليحولها الى نص خيالي , لأن التخييل هو ضرب من الكلام المباين للحقيقة من جهة مافيه من تضليل وكذب , او من حيث هو ايهام للواقع 23 , فهناك روايات تحاكي الواقع وتكون ضمن العالم الممكن بحسب رؤية غولدمان في حين هناك نصوص تبتعد عن الواقع كثيرا وتدخل في اطار الاسطورة والخرافة , وهناك نصوص تدخل ضمن الاطار التاريخي , وهنا يقوم الكاتب بأستحضار الماضي وادخال الاحداث في اطار الحاضر, اذ يعمل على عصرنة التاريخ بحسب تخييله الذاتي ورؤيته للعالم من حوله , او بحسب قراءته للمراجع والوثائق التاريخية , فالتخييل الذاتي كما عرفه فانسان كولونا هو " عمل ادبي يختلق بواسطته مؤلف ما لنفسه شخصية ووجودا ويظل محافظا في الوقت نفسه على هويته الحقيقية (اسمه الواقعي)24.

محنة فينوس من المرجعية التاريخية الى التخييل التاريخي والاسطورة

يقوم المستوى المرجعي التاريخي في الرواية بوساطة استلهام الكاتب التاريخ اليوناني القديم واساطيرها المعروفة , فهي قائمة على " ميثولوجيا التاريخ اليوناني القديم , كقناع وضعه الكاتب ليجسد من ورائه تأزمات الانسان في واقعه المعاصر "25,وقد بدأ روايته بهذا المقطع وهي العتبة النصية الاساسية للرواية " لاجدوى من البحث عن بدائل في واقعنا اليومي عن اشخاص واحداث هذا النص لأنه استمد عناصر تأليفه من : الخرافة .. اصلا."26, واحداث الرواية تبدأ بالحديث عما حصل لتلك المدينة التاريخية (اثينا) من خراب ودمار بفعل صراع الالهة عليها ,من اجل الحصول على سلطة الاولمب , وقيادة الامور بحسب اهوائهم , اذ تبدأ الرواية بضمير المتكلم (الراوي) الذي يذكر انه سيحكي لنا ماحصل وماجرى هناك في تلك المدينة " سأروي مااعرفه عن الذي حصل وما جرى , وما عرفته ليس بالامر الهين او قليل الشأن , لكني ادرك الا فائدة من هذا كله , مالم تباركه الالهة (الهة الاولمب) وينهض به الانسان وبه مجد افعاله " 27, ويستخدم الكاتب في بنائه السردي للرواية الترميز الاسطوري في رواية الاحداث واسماء الشخصيات والامكنة , فأثينا تخيلييا هي بغداد تاريخيا وواقعيا ,وما حصل لها عبر التاريخ من احداث وصراعات وانقلابات القت بظلالها على المجتمع العراقي من محن وتدهور مجتمعي خطير, اذ يعمل الكاتب الى انتاج عالم متخيل بعدما رفض العالم الواقعي ومايحمله من ويلات واحزان , ليتجه صوب العالم الافتراضي التخيلي واستخدام الرمز الاسطوري اليوناني , اذ يذهب الروائي الى " الترميز والاستعارة والاحالة في سرد الاحداث ,عندئذ تتأسس علاقة جدلية بين المتخيل والتاريخ في النص الادبي "28

وفي اطار تحديد المرجع التاريخي في الرواية يذكر الكاتب في خاتمة الرواية انه اعتمد على كتاب الاستاذ دريني خشبة (اساطير الحب والجمال) في تحديد اسماء شخصياته التاريخية الاسطورية , وهذه الاحالة المرجعية دليل على مرجعية الكاتب في انتقاء مادته من التاريخ ,وذلك " كيما يتمكن المؤلف من معالجة مايواجه المتلقي في واقعه المنظور والمكتشف وترحيله الى الواقع الفني لتحقيق ماهو جمالي ومعرفي في ما استنبطه الواقع , وبمعنى اخر فأن وراء هذا التخليق الاسطوري للروي هو دفع المتلقي الى التجاوز النصي لظاهر الاحداث لتأويلها واستخلاص مغزى معينا "29 , اذ يصرح بهذا المرجع قائلا: " العديد من اسماء الالهة التي وردت في النص تمت بايحاء من كتاب الاستاذ دريني خشبة (اساطير الحب والجمال) وان استطاع القارئ تلمس انحرافات فنية وسردية تخص الاسماء او اساطيرها فقد جاءت تلك الخروقات للضرورة الفنية والنصية تحديدا"30, ويقصد بالانحرافات هنا هو فعل التخييل الذاتي الذي رفع مستوى الرواية من التاريخي الى التخيليي .

ان الحدث التاريخي الرئيس في الرواية وهو المرجع التاريخي الاخرو يكمن في صراع الالهة حول صولجان السلطة الذي يرمز الى قوة السلطة وكرسي الحكم وتكالب السياسين عليها والذي قادهم الى خراب البلاد وتدمير العباد , اذ تحولت اثينا – بغداد الى خراب عندما نشبت الحرب بين زيوس رب الارباب وكبير الهة اثينا الذي يرمز للحاكم او رئيس البلاد , وبين مارس اله الخراب والدمار , وهو رمز للطامع في السلطة وقائد الانقلاب السياسي او العسكري على الحاكم , الذي حاول السيطرة على الحكم بالمكر والخديعة , اذ طلب من زيوس الصولجان وان يعيره اليه لليلة واحدة وسوف يرجعه بعدها , وبعد محاولات لاقناع زيوس تمكن مارس بمساعدة منيرفا عشيقة زيوس استطاعت بمكرها اقناع زيوس وموافقته بأعارة الصولجان الى مارس وعندما امسك الاخير بالصولجان قامت الدنيا ولم تقعد , اذ رفض مارس ارجاع الصولجان وحصلت الحرب الكبيرة بينهما التي استمرت اربع جولات انتهت بنصر كبير لزيوس استعاد فيها صولجانه اي حكمه وسيطرته , ولكن تأثير الحرب كان مؤثرا على شعب اثينا , اذ ظهرت ثقافة القتل وكره الاخر ودخول الارهاب الى مدن روما , وبذلك دخلت اثينا في محنة كبيرة , التي رمز اليها الكاتب بمحنة فينوس ابنة زيوس التي ترمز تاريخيا واسطوريا الى الحب والجمال والنظافة والنقاوة , اما واقعيا فهي رمز لما حصل لمجتمع شعب العراق من دخولهم في محن كثيرة , اذ اقدم مارس على اغتصاب فينوس ليأخذ منها كل ماهو جميل ونقي وطاهر, وقد اشارالكاتب على لسان الراوي لهذه المحنة في حديثه عن سبب اختيار العنوان وتحديد عتبة النص الروائي فيها , ومن النوادر ان نشاهد كاتب يوضح دلالة العنوان في روايته ,اذ ان الكثير من الروائيين لايعمدون الى ذكر دلالة العنوان بصورة صريحة , وانما يجعلون من القارئ يكشف ذلك بنفسه من خلال سير الاحداث ودلالة بعض الرموز والاشارات ,او من خلال مغزى معين , اما في هذه الرواية فقد برر الكاتب على لسان راويه سبب اختيار العنوان , فجعلها ضمن الاحداث وحديث الراوي مع نفسه , التي جاءت بعد كثرت الاخبار والحكايات التي ظهرت وانتشرت بين الناس لما حصل لفينوس بعد اعتداء مارس عليها وتحولت قضيتها الى محنة عامة وقضية رأي عام " وعندما كثرت الاخبار والحكايات شرع السدنة بتدوين تلك الحكايات والاقاويل في دساتير وسجلات خاصة جمعوها في خرج كبير , اطلقوا عليه محنة فينوس "31 ,ويعلق الراوي بأن هذه التسمية التي اطلقها سدنة المعابد حول قضية فينوس هو نوع من توارد الخواطر , اذ انه قد قام بتسجيل الاحداث في اوراق وكتب صفحات من هذه القضية تحت مسمى (ايام اثينا ومحنتها العصيبة) , ثم غيرها الى (ايام فينوس سيدة اثينا في ما جرى لها من محنة عصيبة) , ثم قام بحذف كلمة عصيبة واجرى بعض التغيير على العنوان معتمدا بعض الاختصارات اللغوية , ومبتعدا عن التسميات المركبة , ثم توصل الى عنوان جديد وهو (فينوس ومحنتها ايام حكم الاباطرة) , ثم اكتفى بعد قراءات متعددة بالعنوان

الاخير (محنة فينوس)32, نلاحظ ان الراوي الذي يمثله الكاتب ان المرجع في كل ماذكره من احداث جرت في الواقع وقد عايشه ودون كل احداثها في اوراق ودفاتر , وكأنه شاهد عصر لما جرى لهذا الشعب التي مثلتها فينوس في محنتها , هذا من جانب ومن جانب اخر يحيل هذه الاحداث الى الخرافة والاسطورة , بدلالة ماذكره في عتبة الرواية الاولى الذي ذكرناه انفا , وهذا هو التحول من الخطاب التاريخي الى الخطاب المتخيل السردي . ان محنة فينوس ابنة زيوس هي في الاساس وفي مرجعه التاريخي والواقعي هي محنة الشعب المقهور , والمغلوب على امره شعب اثينا (اسطوريا – تخيلييا) وشعب العراق واهل بغداد (تاريخيا – واقعيا) , ومعاناتهم من سلطة سدنة المعابد وكبار الالهة , وهذا الميتا – سرد الروائي المهم والاساس في الرواية , اذ استعمل الكاتب الميتا- سرد ووظف الميثولوجيا الاغريقية واساطيرها القديمة التي امن بها اليونانيون القدامى , التي هي جزء من الديانية القديمة عندهم , فشخصية فينوس اسطوريا هي افروديت ام الشعب والهة الحب والجمال والخصوبة , والجنس والشهوة , وتاريخيا هي رمز للشعب والمجتمع , فقام مارس بسلب عذرية فينوس الطاهرة بمعنى سلب حرية الشعب وحطم كل ماهو جميل ونظيف ونقي .

يرجع الكاتب في هذه الرواية الى التاريخ القديم , والى حفريات تاريخية موغلة في القدم الى عصر الاسطورة وزمن الامبراطورية اليونانية وتاريخ مدينة اثينا كما ذكرنا انفا , مستخدما تخيليه الذاتي في توظيف رموز هذه الحضارة ومسلطا الضوء عما حصل لمجتمع اهل العراق قبل وبعد عام 2003م اذ تحدث بشكل مضمر عن المسكوت عنه وعن محنة اثينا- بغداد , وصراع شعبها مع السلاطين والحكام , اذ وظف عنصر التحبيك السردي بوساطة خلق عوالم سردية داخل النص , اي خلق متون سردية جديدة متحولامن التاريخي الى التخييلي في لغة شعرية جميلة , وبنسق سردي متتابع مع اندماج الزمن السردي بين الماضي القديم والحاضر واستشراف المستقبل في بعض الاحيان , وذكرت الناقدة مونيكا فلودرنك في كتابها (مدخل الى علم السرد) الفرق بين الرواية كعمل تخييلي وبين التاريخ كمادة موضوعية بأن : " السرود التخييلية تخلق عالما تخيليا بينما المؤرخون جميعا يحاولون ان يمثلوا العالم الواقعي نفسه في سرد تفسيري – ومن تعدد للمتطورات المختلفة – وبوصفنا قراء فأننا نفكك القصة (الشخصيات – البنية – الاحداث) من النص السردي للرواية , بينما الكتابة التاريخية فان المؤرخين هم الذين ينتجون القصة على قاعدة مصادرهم ويجمعونها في شكل لفظي "33,

ومن هنا فان الكاتب احمد خلف في روايته محنة فينوس خلق لنا سرودا تخييلية داخل النص من الصفحة الاولى , ونلاحظ في احدى النصوص ذلك التشكيل السردي المتخييل الذي يعتمده في كل الرواية , وكيفية خلق عوالم سردية , وهي صورة الفوضى الذي حصل في المدنية والراوي يراقب الاحداث من مكانه " من مكمني ذاك , كنت ابصر الفوضى وهي تعم المكان , وقد اجتاح الغوغاء والرعاع كل ناحية وصوب , وحدث في شوارع اثينا هرج ومرج وفلتان , وقد اتهم الناس , كل الالهة الصغار والاباطرة والسدنة بالفعلة الشائنة تلك , وروى العديد من الناس , ان ما يحدث الان , انما يجري دون علم من زيوس ,لوكان رب الارباب يعرف ما حل بالرعية لأتخذ القرار الصارم , والحل الحازم بتقويض اركان الفوضى"34,ومن جانب اخر يقدم الكاتب مجموعة من المقاربات السردية , كأستخدام الميتا- سرد والرمزالاسطوري , واحداث الحضارة اليونانية القديمة وصراع الالهة مع بعضها وفق مبدأ البقاء للاقوى , فتاريخ هذه الرواية هو تاريخ تخييلي افتراضي , ويحاول الكاتب ان يصنع تاريخه الشخصي من دون الاستعانة بالوثائق , وانه اعتمد كما ذكرنا انفا على ذكر اسماء الالهة وبعض الانحرفات الفنية والسردية بحسب تعبيره , ويعلق الناقد فاضل ثامرعلى هذه الجزئية في عمل الروائي الذي يعمد الى خلق عالم تخييلي خاص به في معرض حديثه عن العلاقة بين الرواية والتاريخ قائلا : " قد شهدت تغييرا جذريا بعد ان فقد التاريخ قداسته واصبح مجرد خطاب فاسحا المجال امام

تواريخ فرعية هي الاخرى قد تكون مخترعة او ملفقة او تخييلية وبهذا تمنح الحرية لكل روائي بأن يخلق تاريخه الخاص مادامت المتعاليات التاريخية والوثوقية لم تعد قائمة " 35, ولذا فان الروائي يشكل عالمه التاريخي وفق رؤيته للعالم ووضع مجتمعه وموقفه من القضايا السياسية والثقافية بشكل عام , ليخلق لنا عوالم متخيلة جديدة مغايرة لما يحدث في الواقع , ويؤكد الناقد فاضل ثامر من جانب اخر بأن هذا التمثيل او التشكيل سيؤدي الى خلق عقبات وازمات ومشكلات امام الروائي , وقد يتعرض الى مضايقات في المستقبل ولكنه " يفسح المجال بصورة اوسع امام استقصاء تواريخ المقموعين والمقهورين والمهمشين الذين تجاهلهم التاريخ الرسمي الذي يكتبه الطغاة , والاسياد والمنتصرين عبر التاريخ " 36 وهذا مافعله كاتبنا في روايته هذه عندما اشار بصورة كبيرة الى احوال المقموعين والمضطهدين في المجتمعات , واستطاع بأسلوبه الفني الجميل ان يجسد تلك المعاناة مستخدما الترميز الفني , فقد جسد في موضع معاناة النساء اللواتي فقدن ازواجهن واولادهن في الحروب , ووصف تلك المعاناة على لسان فينوس التي روت ماحدث لنساء اثينا " فكرت فينوس بتعاسة النساء الاثينيات اللواتي فقدن ازواجهن في حروب مارس وجلاوزته يحومون (كالغربان في الطرقات) يجمعون الجنود الهاربين من مطاحن القتال , النسوة المولولات , الباكيات على ازواجهن واولادهن الذين ماتوا او قتلوا في البيداوات الشاسعة وقيل ان امرأة في الخمسين من عمرها , لما ورد اليها موت وحيدها , لملمت اطرافها واتجهت الى حيث الموت يحصد كل ابن فانية , راحت تبحث عن ولدها الوحيد , حتى قيل ان مسا من الجنون اصابها حالما رأت كيف يموت الفتيان ويتساقطون الواحد اثر الاخر في ساحة الوغى " 37, هذا جزء من معاناة اهل اثينا ترويها فينوس وهي تحس ببنات جنسها اللائي تحملن اثار الحرب ونتائجها , ويحاول الكاتب هنا توثيق هذه الاحداث , وتسجيل تاريخه الخاص بوساطة وصف احوال المجتمع ومعاناتهم , اذ يستقصي تواريخهم موظفا خياله بصورة فنية رائعة , وفي مشهد اخر يسجل الكاتب تاريخ مدينة اثينا وما حصل لها , وكيف غدت خرابا , وهروب شعبها الى الغابات , وهي اشارة لما حصل من عمليات الهجرة او التهجير القسري في المجتمع العراقي بعد احداث عام 2003م , وذلك خلاصا من الجحيم " فينوس الباكية الان , تتذكر جيدا , ماالت اليه حال المدينة من خراب وهجران وقد شاهدت كيف تسرب شعب اثينا في الغابات وهرب عبر الطرق النائية تخلصا من الجحيم , شاهدت اطفالا يموتون بين يدي امهاتهن ويدفنون على جانبي الطريق , والنسوة اللواتي يشبهن في خوفهن وتعاستهن حالة فينوس "38.

وينقل لنا الكاتب صورة اخرى لمعاناة اهل اثينا , وماحصل عندما بدأت الهجرات وترك المدينة بعد نشوب الحرب والصراع بين زيوس ومارس , وهذا تاريخ اخر تسجله الرواية وهو تاريخ المهزومين والمضطهدين من ابناء المجتمعات في ظل الحكومات الفاسدة والظالمة التي لاتقدم لابناء شعبها سوى القهر والقتل والتهجير " ثم حلت الهجرة بين الناس , فقد راح اهل اثينا يغادرون المدينة الى مدن اخرى , اتقاء للاذى وتخلصا من العوز والاملاق .مرت ايام كانت فيها شوارع اثينا تخلو من المارة ولم يسأل احد نفسه مالذي ستؤول اليه الحال بعد تدهور الاحوال؟ وقيل لي انهم هناك في منافيهم ليسوا افضل حالا , مما كانوا عليه في اثينا , انما تخلصوا من بطش سدنة المعابد والاباطرة , كما انهم وفروا على انفسهم سلامتها من الاذى غير المتوقع . سلامة الجسد مقابل الوطن ."39 العبارة الاخيرة تبين حجم المعاناة الكبيرة فكل فرد هو مشروع انسان ميت في هذا الوطن فسلامة الجسد يكون بمقابل الهروب من الوطن وترك الارض . وفي اطار تحديد المراجع التاريخية في الرواية فقد ذكر الكاتب احداثا تاريخية حصلت في الواقع , واشار اليها مستخدما الترميز والتخييل في متنه السردي ومتحولا من التاريخي الى التخييلي , فقد اشار الى ان اثينا عبر التاريخ شهدت الكثير من الغزوات واحتلالات من قبل الاقوام الغازية , وهي اشارة لما حصل لمدينة بغداد عبر السنين من دخول الكثير من الاقوام

الغازية واحتلالها وسفك دماء شعبها , ابتداء من سقوطها في العصر العباسي على يد المغول في العصور القديمة , وانتهاء بسقوطها بيد الاحتلال الامريكي عام 2003م في العصر الحديث , وقد ارخ الكاتب على لسان الراوي هذه الاحداث قائلا :" قيل ان عشرات الاقوام الغازية جاءت تكشر عن انيابها امام عتباتها , موجات تتبعها موجات اكتسحت في طريقها كل بريق وداست بحوافر الخيل ورد الحقول النضرة , غزاة عتاة تعاهدوا على اجتياح طمعا بما تعطيه من غلات ومحاصيل "40, ويقدم الكاتب صورة عن حالة المجتمع الاثيني (المجتمع البغدادي) الذي تحمل اخطاء وصراعات السلطات التي مرت عليهم عبر التاريخ , اذ يصور حالة الجوع والحرمان والفقدان لابسط مستلزمات الحياة الكريمة , نتيجة الحروب والصراعات الداخلية والخارجية على حد سواء , حتى ان النساء اضطررن لبيع مالديهن من مصوغات واشياء ثمينة لاطعام الصغار , وهذا ماحصل في الواقع للمجتمع العراقي بعد فرض الحصار الاقتصادي عليهم في التسعينيات من القرن الماضي يقول : " كل النساء بعن مالديهن من مصوغات وحلي لاجل اطعام الصغار لقمة من خيرات اثينا , ولم يبق تحت ايديهن الاالنزر اليسير من سمعة تباع في سوق النخاسة "41,والى جانب هذه الصورة والحدث التاريخي المهم نرى صورة اخرى وهي ماافرزته نتائج الحرب من ظهور طبقة اجتماعية جديدة في المجتمع وهم الحواسم الذين نهبوا المال العام واستغلوا غياب الرقابة بعد احداث الحرب . 42

المتخيل السردي والنسق الديستوبي

التخييل قديما هي محاكاة للواقع وللاشياء وقد كانت تطلق في مجال الشعر , وقد وردت عند افلاطون وارسطو وفلاسفة العرب المسلمين , وهي مرتبطة بالمحاكاة الشعرية , فالخيال والتخييل عند افلاطون هي محاكاة من خلال رؤيته للشعر وكل الفنون قائمة على المحاكاة ومن بينها الشعر , فالمحاكاة الشعرية هي التي تحاكي الحقيقة بالتخييلات الخادعة لعقول الناس ولذا منع افلاطون الشعراء من دخول مدينته الفاضلة 43, فالنقد عند افلاطون هنا هو نقد اخلاقي وليس جمالي اذ يقدم الواقع الحقيقي على ماهو مبهم وخيالي , واما ارسطو فقد خالف استاذه افلاطون في نظرته للشعر , وان الشعر يولد عند الشعراء من غرائز عديدة منها المحاكاة وحب الوزن ولاعلاقة للالهة في تكوينها , فالتخييل عنده هي :" الحركة المتولدة عن الاحساس بالفعل . ولما كان البصر هو الحاسة الرئيسية فقد اشتق التخيل (فنطاسيا) phantasiaاسمه من النور (فاوس) phaos اذ بدون النور لايمكن ان نرى , ولما كانت الصور تبقى فينا وتشبه الاحساسات فان الحيوانات تفعل افعالا كثيرة بتأثيرها ,بعضها لأنها لا يوجد عندها عقل وهذه هي البهائم , وبعضها الاخر لأنها عقلها يحجب بالانفعال , او الامراض ,او النوم ,كالحال عند الانسان "44 بعنى ان المحاكاة عند الانسان هي غريزة تظهر في اوقات مبكرة من حياته وهي تختلف عما موجود عند الحيوانات. وفكرة التخييل مصطلح عربي النشأة اسلامي المنحى , وهذا ماذهب اليه مصطفى الجوزو في كتابه نظريات الشعر عند العرب الجاهلية والعصور الاسلامية, بقوله : " اذا كانت فكرة المحاكاة من اطراف ماوصل النقد العربي بالنقل المحرف , فان فكرة التخييل هي في الحق بنت العقل العربي الاسلامي "45 , وفي القرآن الكريم جاء معنى التخيل بلفظة (خيل) اي بمعنى الخيال او الوهم في قوله تعالى :" قَالَ بَلْ أَلْقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ " سورة طه الاية 66, وفي اللغة وردت لفظة التخييل بمعنى الظن والشك والشبه , فقد ورد في لسان العرب في مادة خيل من : " خال الشيء يخال خيلا وخيلة وخيلة وخالا وخيلا وخيلانا ومخالة ومخيلة وخيلولة : ظنه , وفي المثل : من يسمع يخل , اي يظن , وهو من باب ظننت واخواتها التي تدخل على الابتداء والخبر.....ويخل مشتق من تخيل الى ....وخيل عليه : شبه ... وشيء مخيل اي مشكل "46, اما اصطلاحا فقد اشار ادريس الناقوري بأنها " الاشارة التي يحدثها الشعر في المتلقي " 47, وتبدو هذه الاشارة او العلامة هو فعل التخييل الذي

يحدثه الاديب في النص سواء أكان شاعرا أم روائيا أم قاصا. وقد وردت لفظة التخييل في المعاجم الاجنبية , وتعني في الفرنسية imagination وتدل على مجموعة من المفاهيم منها : " ملكة يتوفر عليها الذهن لتمثل صور[او]... للتخيل , الاستعادة صورا او ابداعها ... وهو ايضا ملكة الذهن على تمثل اشياء او وقائع غير واقعية او غير قابلة للحدوث والادراك , او هو- اي الخيال – استحضار الذاكرة , لمدركات او تجارب داخلية "48, ومما سبق ندرك ان التخييل نابع من المدركات الحسية واللفظية عند المبدع اذ يقدم لنا صورا قد تكون واقعية او غير واقعية معتمدا عنصر التخليق الشعري او السردي في انتاج النص , ويبدو ان مفهوم التخييل حديثا هو قريب من مفهومه القديم , اذ اصبح يدخل في كل الفنون الادبية والفنية والجمالية كالشعر والرقص والرسم والتشكيل والقصة والرواية وغيرها , وقد ذكرت دورين كون بعض المفاهيم الحديثة للتخيل وهو ضرب " من الكلام المباين للحقيقة من جهة مافيه من تضليل وكذب – التخييل من حيث هو ايهام للواقع – التخييل معرفا بكونه الوجه المقابل للواقع والمضاد له " 49, ويمكن القول مما سبق ان التخييل عنصر اساسي في قيام النص الروائي , اذ يقدم الروائي على عملية التخليق السردي من استرجاع للاحداث التي وقعت في الماضي او في التاريخ القديم او الحديث ليقدمها بأسلوب جديد ورؤية جديدة قائمة على تخيليه الذاتي , فالكاتب يقدم هذه الاحداث ويخلق شخصيات خيالية ويقحمها في نصه التاريخي والسردي ليخرج لنا نصا سرديا متخيلا في نسق منظم ومتتابع , وهذا ماذهبت اليه الناقدة هامبورغ في تحديدها لعملية تكوين النص السردي 50. وفي روايتنا هذه محنة فينوس يقدم الكاتب مجموعة من المتخيلات السردية في نسق ديستوبي عجائبي * في احداث روايته اذ نرى صورة ذلك المكان الذي عم فيه الفوضى والدمار والقتل وحصول التهجير , فأصبح مكانا فاسدا خبيثا , واصبح مجتمعه غير فاضلا ومفككا , وهذا النمط من الروايات ظهرت في الرواية العراقية بعد عام 2003م ومالت اليه الامور بعد الاحتلال من ظهور ثقافات جديدة في المجتمع العراقي وتأثيرها على النخبة المثقفة ومن ثم ظهور هذا النمط من الكتابات عند الروائيين وكتاب القصة , وفي هذه الرواية يروي لنا الراوي ماحدث لمدينة اثينا الذي هو رمز لما حصل لبغداد في الواقع في مشهد يصف فيه حالة الهرج والمرج التي حصلت بعد اختفاء فينوس وقيام زيوس في البحث عنها " في العلا انقلب زيوس الجبار على احد جنبيه ليعاود النوم ثانية كانت نظرته الناعسة قد حطت على شعب اثينا وهو في حالة من هرج ومرج وفوضى سادت المكان. كانت رؤيته للذي يجري قد ادهشته , فقد بلغ القتال بين الناس حدا لامثيل له "51, وهذا الامر لم يعجب زيوس الحاكم لما حصل من فوضى في المدينة , وحتى يقضي على التمرد ارسل مجموعة من الالهة الصغار [ادوات السلطة]لقمع التمرد وضرب الرجال في ساحة اثينا [مكان التظاهرة]وعندها " بدأت معركة غير متكافئة بداية الامر , اشتد الضرب وتصاعدت وتيرة العراك , وقد خيل الى الجموع الغفيرة من ابناء اثينا, ان هؤلاء الغرباء جاؤوا للاستيلاء على مدينتهم ولاخلاص لهم الابالقتال والصراع معهم. "52, واستمر القتال بين الطرفين ووصل الامر الى حدوث حرائق في بعض المنازل وتكسير نوافذها , وهنا تحولت المدينة الفاضلة والهادئة والجميلة (مكان يوتيبي) الى مدينة خربة ومدمرة ومخيفة (مكان ديستوبي) ,وساد الجوع بين الناس وزادت معاناتهم , ويكشف الكاتب بوساطة الراوي صورة ذلك الجوع الذي حل بأهل اثينا ايام القتال والحرب الداخلية او مايسمى بالطائفية المقيتة ," ثلاث افات استولت على الناس هنا (اقصد مدينة اثينا بالطبع) الجوع اولا , حيث لا مؤونة تدخل البيوت لتأمن حاجة العائلة للزاد. اظن ان عشرات الاطفال نفقوا لأن افواههم الناشفة ظلت مفتوحة على المدى , لم تتلق اي طعام او اي سائل يقيها تمزق الاحشاء اليابسة من الاهمال"53, هذه الصورة المخيفة والنسق الديستوبي لحالة الجوع بين اهل المدينة اشارة لما حصل في المجتمع العراقي تاريخيا خلال التسعينيات القرن الماضي من فرض الحصار الاقتصادي

عليها , او حتى بعد عام 2003 م ودخول العراق في مرحلة الصراع الطائفي وظهور القوى المسلحة وتأثير ذلك عليهم امنيا واقتصاديا واجتماعيا , اذ وظف الكاتب خياله في نقل هذه الصورة وهذا النسق المخيف في سرد الاحداث. ويستمر في وصف حالة الفوضى وانفلات الوضع الامني في المدينة , ليأتي دور اللصوص والسراق في تحويل المدينة الى مدينة اشباح وخراب عندما قاموا بسرقة المواطنين وقتلهم, ومن نتائج هذا الوضع حدوث الهجرات الداخلية والخارجية ونزوح الاهالي الى المدن الاكثر امنا وهربا من المعارك وظلم السلطة 54, ومما سبق فان الكاتب يوظف النسق الديستوبي المتخيل في محاكاة واقعه الحقيقي فهو قد عاصر وشاهد هذه الاحداث في الواقع ونقل لنا الصورة المخيفة لهذا الواقع معتمدا على التخييله السردي الواقعة في حدود ميتا – سرد التاريخي الذي يرمز الى محنة الشعب (اثينا – بغداد) ومعاناتهم مع السلطة وسدنة المعابد ,وينقلنا الكاتب الى مكان اخر ليقدم لنا صورة ذلك المكان المخيف والموحش وفيها تنتهك السلطات حقوق الانسان وكرامتهم من اجل استمرار حكمهم وسلطتهم ويصفها بالقلاع والجحور المظلمة فكل عمليات التعذيب والقتل تجرى هناك بمباركة الالهة وسدنة المعابد , وفي حديث الراوي مع رجل تعرض الى الاذى والسجن في تلك الاماكن ليروي تفاصيل ذلك المكان المخيف في نسق ديستوبي عجيب " وقد قيل ان الداخل لهذه القلاع العتيدة لايخرج منها سالما , وفي حينه ضحكت على قول كهذا , اذا ما معنى ان يخرج غير سالم , مادام قد دخل الى تلك السجون لجناية او جنحة , لا اظنه سيخرج قطعيا, لأني لم اصادف احدا قد غادر تلك الاماكن السرية التي يحشر فيها الالاف من البشرسالما من الاذى او غير سالم "55, ولايقتصر الامرعلى ذلك فقد فقد يتعرض الشخص الذي يخرج من هذه الاماكن سالما الى الخطف او القتل بوساطة القتلة المأجورين او كما يصفهم بالعسس 56. وبعد رواية هذه الاحداث عن سياسة الالهة يذكر الراوي الى ان قد سجل وكتب كل ماسمعه من هذه الحكايات في ورقة صغيرة ليكون شاهد عصر على سياسة زيوس وسلطة الاولمب تجاه شعبهم " تلك سياسة الاباطرة الذين يحكمون اثينا بأسم زيوس الجبار . تعجبت اشد العجب مما سمعت , وسجلت في ورقة صغيرة , - تلك اذن, عادة بلاد الداخل في اتونها لايعد من الخارجين "57. وتصل الرواية الى الحدث المهم وهي لحظة مواجهة زيوس لمارس الذي اخذ الصولجان منه , فحصل الحرب وتواجه الخصمان وكانت لهذه المواجهة اثارا كبيرة على المجتمع الاثيني , وقد نجح الكاتب في استخدامه لعنصر التخييل التاريخي السردي في وصف هذه الحرب بلغة شعرية عالية المستوى , وموظفا كل عناصر السرد بصورة فنية مميزة ,وهذه المواجهة بدأت عندما صرخ زيوس بصوته المخيف طالبا صولجانه من مارس , عندها رفض الاخير طلبه ساخرا منه , وبعد تشاور جميع الالهة في تبعات هذا الرفض قرر نبتون اله البحار والمحيطات قرار المواجهة بين الاثنين لحسم مصير الصولجان والذي ينتصر سيكون الصولجان له , والخاسر سينفى الى باطن الارض ليواجه مصيره هناك في العالم السفلي , قال نبتون :" لامفر من المبارزة بين الالهين , مارس بالصولجان مادام بين يديه , اما زيوس الجبار لديه مايمكنه من خوض المعركة خصوصا اذا ما اراد استخدامها لحسم الامر وادرك المستمعون ان مايقصده نبتون في اشارة الى الرعود المدمرة التي لاتستخدم الا في ساعات الضرورة القصوى "58 ,لتستمر المواجهة اربع جولات مدمرة وانتهت بأنتصار ساحق لزيوس واستعادة صولجانه اي سيطرته على الحكم وفرض سلطانه على جميع الالهة , اما مارس فقد نفي الى العالم السفلي .

الخاتمة ونتائج البحث :

1- سارت الرواية العربية الجديدة نحو الحداثة بعد ظهور الروايات التاريخية , وحصول تحول كبير في انتاج الكاتب الروائي الحداثي من خلال استخدامه للوسائل الفنية الحديثة ورؤية جديدة للعالم في تقديم النص الروائي , فقد كونت الروايات التاريخية في مدة ظهورها ومابعدها اتجاها ادبيا مميزا .

2- تجاوز الكاتب الروائي العربي الحداثي البعد التاريخي ودخل في منظومة البعد التخييلي مسخرا المادة التاريخية في خدمة الرواية , وبذلك قدم لنا انتاجا روائيا جديدا وفق رؤية جديدة قائمة على التخييل والتحبيك السردي .

3- ان العلاقة بين الرواية والتاريخ هي علاقة تبادلية وتفاعلية , وهي علاقة بين فضاءين (فضاء السرد التخييلي وفضاء المرجع التاريخي الواقعي).

4- اقترحنا مصطلحا جديدا الى جانب مصطلحي الرواية التاريخية والتخييل التاريخي الاوهو (رواية التحبيك السردي التخييلي التاريخي)او (رواية الحبكة السردية التخييلية التاريخية) وذلك لضمان وجود كل عناصر العمل الفني فيها ولفك الخلاف بين المصطلحين الاولين .

5- وظف الكاتب الميتا – سرد التاريخي والموثيولوجيا الاغريقية القديمة والاساطير وكذلك الاعتماد على الترميز الاسطوري في تقديم الاحداث والشخصيات والامكنة وتحديد الزمن , مع ملاحظة وجود نسق ديستوبي غرائبي في وصف الاحداث والامكنة .

6- خلق الكاتب متون سردية جديدة داخل النص الروائي , والتحول من النسق التاريخي الى النسق التخييلي في اسلوب شعري جميل على رغم من قساوة المشاهد والاحداث .

7- حاول الكاتب صناعة تاريخه الخاص به في هذه الرواية وهو التاريخ التخييلي الافتراضي في تحبيك وسرد الاحداث .

8- وجدنا ان مفهوم التخييل قديما هو قريب جدا من مفهومه الحديث , وهو نابع من المدركات الحسية واللفظية عند المبدع سواء اكان شاعرا ام روائيا ام قاصا .

الهوامش والمصادر:

1- ينظر:الرواية التاريخية, جورج لوكاش,ترجمة : د.صالح جواد الكاظم , الجمهورية العراقية وزارة الثقافة والفنون 1978 ,سلسلة الكتب المترجمة (49) :11.

2- ينظر: نفسه .

3- نفسه:12.

*جرجي زيدان: مفكر لبناني ولد في بيروت عام 1861م يعد رائدا من رواد تجديد علم التاريخ واللسانيات , واحد رواد الرواية التاريخية العربية , وعلما من اعلام النهضة الصحفية والادبية والعلمية الحديثة في العالم العربي ,وفاته عام 1914م.(الشبكة الالكترونية والمعلوماتية www.hindawi.org

4- ينظر : موسوعة السرد العربي , عبدالله ابراهيم , المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت ,طبعة اولى 2005م:434.

5- نفسه .

6- ينظر : نفسه : 436 .

*محنة فينوس , احمد خلف , دار الينابيع , سورية دمش , طبعة اولى , 2010م.

7- التأريخي والسردي في الرواية العربية , فاضل ثامر , دار ابن النديم للنشر والتوزيع , ودار الروافد الثقافية , بيروت طبعة اولى , 2018م : 9.

8ينظر : نفسه .

9- وجهان ووجهتان , محمد صابر عبيد , مجلة الجديد عدد 60 , يناير 2020م : 14.
10- نقلا عن العلاقة بين الرواية والتاريخ , زياد الاحمد , مجلة الجديد عدد 60 يناير2020م: 10-11.
11- وجهان ووجهتان :14.
12- ينظر: قضايا الرواية العربية الجديدة:الوجود والحدود , سعيد يقطين ,الدار العربية للعلوم ناشرون, منشورات الاختلاف ودار الامان , طبعة اولى 2012م : 159
13- ينظر: نفسه : 16.
14- ينظر: المحاورات السردية ,عبدالله ابراهيم , المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت – لبنان طبعة اولى 2012م: 194 , وينظر: التخيل التاريخي السرد والامبراطورية والتجربة الاستعمارية , عبدالله ابراهيم ,المؤسسة العربية للدراسات والنشر , بيروت- لبنان طبعة اولى 2011م:5.
15- نفسه.
16- نفسه.
17- ينظر: السرد التاريخي والرواية التاريخية , سعيد يقطين , مجلة الجديد , عدد60,يناير2020م: 19.
*الميتاخرافة : تعني اي قصة او كتابة يؤدي فيها الخيال المؤلف دورا كبيرا, فهو, مع ذكره بعض الوقائع, قد يعمل على تغييرها , او تأويلها يناسب مدرسته الفكرية او الادبية او الفنية , وقد يضيف اليها من خياله الخصب مقدارا او مقادير يوظفها في اتجاه مايرمي اليه ويريد ايصاله الى القارئ (سياسة مابعد الحداثية , ليندا هتشيون, ترجمة :د.حيدر حاج اسماعيل , المنظمة العربية للترجمة , مراجعة ميشال زكريا , بيروت ايلول 2009: 78.
18- ينظر: التأريخي والسردي في الرواية العربية:29 .
19- سياسة مابعد الحداثية : 87.
20- ينظر : الوصول الى التخيل التاريخي , عبدالله ابراهيم , مجلة الجديد ,عدد60,يناير2020م : 32.
21- نفسه.
22- التخيل التاريخي , السرد, والامبراطورية والتجربة الاستعمارية : 7.
23- معجم السرديات , محمد القاضي واخرون , الناشرون: مجموعة من دور النشر - تونس الطبعة الاولى 2010م : 74 .
24- نفسه : 79 .
25- الرواية العراقية ملامح من زمن الرواية , شوقي بدر يوسف , مجلة البوابة الالكترونية – 3فبراير albawabhnews.com 2016
26- محنة فينوس : 5.
27- نفسه : 7 .
28- السرد الروائي بين المتخيل والتاريخ , اسامة غانم , مجلة الاديب العراقي عدد 18 ربيع 2018 : 27 .
29- تمظهرات (الديستوبيا) في الرواية العراقية المعاصرة , عبد علي حسن , موقع الصباح الجديد 20اكتوبر www.newsabab.com2018
30- محنة فينوس :151.
31- محنة فينوس : 120.

32- ينظر: نفسه.
33- مدخل الى علم السرد , مونيكا فلوردنك , ترجمة : باسم صالح حميد و مي صالح ابو جلود , دار الكتب العلمية , بيروت ,طبعة اولى 2012 : 16-17.
34- محنة فينوس : 23-24.
35- التأريخي والسردي في الرواية العربية : 29-30 .
36- نفسه .
37- محنة فينوس : 60 .
38- محنة فينوس : 90.
39- نفسه.
40- محنة فينوس : 21 .
41- نفسه : 21-22.
42- ينظر : نفسه : 23, 60 .
43- ينظر: جمهورية افلاطون , افلاطون , ترجمة : حنا خباز , مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة , القاهرة – مصر: الكتاب الاول(العدالة) .
44- كتاب النفس , ارسطو طاليس , ترجمة: احمد فؤاد الاهواني , دار احياء الكتب العربية , الطبعة الثانية ,1962م : 107.
45- نظريات الشعر عند العرب الجاهلية والعصور الاسلامية , مصطفى الجوزو , دار الطليعة للطباعة والنشر , بيروت – لبنان , الجزء الاول : 114.
46- لسان العرب , ابن منظور , طبعة جديدة ومحققة ومشكولة شكلا كاملا , دار المعارف , جمهورية مصر العربية , القاهرة , مادة: خيل .
47- المصطلح النقدي في نقد الشعر , ادريس الناقوري , الطبعة الثانية , طرابلس – ليبيا : 167- 168.
48- الخيال والتخييل عندة حازم قرطاجني بين النظرية والتطبيق , رشيدة كلاع , رسالة ماجستير, كلية الاداب والعلوم الانسانية جامعة منتوري قسنطية 2004-2005 : 12 .
49- معجم السرديات : 74.
50- ينظر: معجم السرديات : 75 .
*الديستوبيا : Dystopia هو مجتمع خيالي , فاسد او مخيف او غير مرغوب فيه بطريقة ما , وهو عكس المدينة الفاضلة , وقد تعني الديستوبيا مجتمع غير فاضل تسوده الفوضى , فهو عالم وهمي ليس للخير فيه مكان , يحتله الشر المطلق , ومن ابرز ملامحه الخراب , والقتل والقمع والفقر والمرض , باختصار هو عالم يتجرد فيه الانسان من انسانيته يتحول فيه المجتمع الى مجموعة من المسوخ تناحر بعضها البعض (ويكبيديا الموسوعة الحرة موقع الكتروني ar.wikipedia.org
51- محنة فينوس : 88 .
52- نفسه : 88- 89 .
53- محنة فينوس : 90 .
54- ينظر: نفسه .
55- محنة فينوس : 93- 94 .
56- ينظر : نفسه .
57- نفسه .

58- محنة فينوس : 123- 124 .

Historical fiction in the novel The Plight of Venus by Ahmed Khalaf

assist prof: Mohamed Anwer Ismai phd
the department of Arabic language
college of basic education
al-Mustansiriyah University

Abstract:

The study seeks to approach the concept of historical fiction in the novel The Plight of Venus by the Iraqi writer Ahmed Khalaf. Historical fiction, then talking about historical references in the novel, as well as talking about the narrative imagination and the dystopian pattern in it, and ended with some results, including that the relationship between the novel and history is a reciprocal and interactive relationship, and it is a relationship between two spaces (the fictional narrative space and the realistic historical reference space).

Keywords, fiction, historical, Venus, Ahmed, love you narrative.